جهود المفسرين في مراعاة المقام ومقتضى الحال:
البقاعي وأبي السعود وابن عاشور أنموذجاً

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الخامس

(مراعاة المقام وأبعاده التداولية في الفكر العربي والإسلامي)

المنعقد في ١٨ مارس ٢٠٢٣م

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

جامعة الأزهر

إعداد الدكتور

محمد بن عبد الرحمن البليمي

أستاذ مساعد بكلية الشريعة وأصول الدين جامعة نجران

المملكة العربية السعودية

جهود المفسرين في مراعاة المقام ومقتضى الحال: البقاعي وأبي السعود وابن عاشور أنموذجاً

محمد بن عبد الرحمن البليمي
قسم التفسير ، بكلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة نجران ، بالمملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: maalblaymi@nu.edu.sa

الملخص:
تناولت في هذا البحث والتي عنوانها "جهود المفسرين في مراعاة المقام ومقتضى الحال: البقاعي وأبي السعود وابن عاشور أنموذجاً"
امتاز المفسرون في تفاسيرهم بعنايتهم بجوانب مختلفة فاعتنوا فيها ببيان قضايا علوم القرآن والقراءات والنحو والبلاغة والأحكام الفقهية والمسائل العقدية وغيرها من القضايا التي تجلي الآية القرآنية، وفكرة هذا البحث تقوم على إظهار جماليات بلاغة التعبير القرآني في مراعاة المقام ومقتضى الحال وإبراز جهود بعض المفسرين في تفاسيرهم، منهم: برهان الدين البقاعي في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات) وأبو السعود العمادي في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، والطاهر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) ، إن أبراز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر فيه من الفصاحة والبلاغة والبيان، وروعة المعاني ودقة انسجام الألفاظ في مبناها، وتنسيقها تنسيقاً يتناسب مع عذوبة الألفاظ وروعة الأسلوب والجودة في المعنى، ثم إحكامها في الربط بحيث تستولي على مشاعر السامعين لهذا القرآن الكريم، وقد توصل الباحث إلى نتائج عدة منها: أنّ مصطلح مقتضى الحال ظهر عند المفسرين عند تعليقاتهم على الآيات الكريمة إما بشكل واضح أو بإيماء إليه، كما أنّ معرفة مراعاة المقام ومقتضى الحال في الأسلوب القرآني من أهم أركان التفسير للوصول إلى خبايا مدلولات الآيات.

الكلمات المفتاحية : مراعاة المقام ، مقتضى الحال ، تفسير تحليلي ، البلاغة القرآنية .

Interpreters' efforts to consider the Situation and the necessary situation
Al-Baqai ', Abi Alsoud, and Ibn Ashour as a Model

Mohammed bin Abdulrahman Al-Balimi
Interpretation Department, Faculty of Shari 'a and Ascension of Religion, Najran University, Saudi Arabia
E-mail: maalblaymi@nu.edu.sa

Abstract:

In this research, entitled "Efforts of interpreters to take account of the subject and, where appropriate,: Al-Baqai ', Abi Alsoud, and Ibn Ashour are a model in their interpretation of various aspects, in which they cared about issues of Quranic science, readings, grammar, rhetoric, jurisprudence, nodal questions and other issues that manifest the Quranic verse and the idea of this research is to show the aesthetics of the rhetoric of Quranic expression in the consideration of the status and the necessity and to highlight the efforts of some interpreters in their interpretation, such as Borhan El- Deen Beqa'i in his interpretation. (Nozom Al-Durar fi Tnasob Al- Ayat) In addition, Abo Al- Soud Al-Emadi in his interpretation (Ershad Al- Akl Al- Saleem illa Mazaya Al- Ketab Al-Karim), Besides, Al-Tahir Ibn Ashour in his interpretation (Al- Tahrir wa Al- Tanweer). The most prominent miracle of Quran is the apparent fluency, rhetoric, and Eloquence. In addition to magnificence of the meaning, accurate harmony of the words structure, and coordination with such nice

words. Besides, Quran is distinctive because of the wonderful style, and quality in the meaning. The words have been connected well to generate empathetic feelings of the listeners to this Holy Quran.

Keywords: Taking into account the situation, matching to the words to the situatin, analytical interpretation, and Quranic rhetoric.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله البليغ الذي أعجز أهل البلاغة والبيان الأمر الذي جعلهم أسارى أمام فصاحته ودقة نظمه وتحداهم بأنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

إن نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ بلسان عربي يعدّ حجة ودليلا على إعجازه، وإن كان الإعجاز في جملته لعدة معان كالإخبار بالغيب، واستيفاء تشريع لا يعتريه خلل، وغير ذلك مما عُدَّ من وجوه إعجازه – ويسري فيه الإعجاز في كل آية منه على ما فيه من خواص بلاغية جاءت لمقتضيات معيَّنة[1]، ولا يتم ذلك بالمعنى المعجمي فحسب، بل لا بدّ من الاستعانة بأشياء أخرى منها شخصية المتكلم وشخصية المخاطب وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة بهما تساعد في تحديد المعنى والأغراض، وما يقصد بهما من دلالات[2]، وهذا مما أدّى بالعلماء إلى الاهتمام بدراستها حرصاً منهم على فهم مقاصده وبيانها.

وقد امتاز عدد من المفسرين بالعناية بجوانب مختلفة في تفاسيرهم فاعتنوا فيها ببيان قضايا علوم القرآن والقراءات والنحو والبلاغة والأحكام الفقهية والمسائل العقدية وغيرها من القضايا التي تجلي الآية القرآنية، ولا سيما في تفسير (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين البقاعي ، (وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العمادي و(التحرير والتنوير) لابن عاشور ، فلذلك

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ٢٠).
(٢) انظر: اختيار ما يقتضيه المقام من طرق التصوير (١١٨).

اخترت هذه التفاسير؛ لبيان جهود بعض المفسرين في مراعاة المقام ومقتضى الحال في ميدان الدراسات القرآنية.

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب منها:

١. محاولة مواكبة التجدد في لغة القرآن الكريم، وصياغة فهمه ؛ في ظل الاعتقاد الصحيح بأنه خطاب موجه لبني الانسان في كل زمان ومكان.

٢. تعتبر (مراعاة المقام ومقتضى الحال) ركيزتين مهمتين في الكشف عن الدلالة ودفع اللبس والغموض.

وأما مسوغات اختيار هذه التفاسير فهي كالتالي:

- كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي: جاء تفسيره هذا فريداً في بابه، حيث لم يصنف قبله مثله على نمطه، فكان البقاعي هو الرائد الأول في هذا الميدان، ولم يقتصر هذا التفسير على التناسب فحسب، بل تعداه إلى تجلية أسرار القرآن الكريم عن طريق البلاغة العربية، وأسرار اللغة العربية نفسها.
- كتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبو السعود العمادي: لقد حظي هذا التفسير بثناء العلماء وإعجابهم، يقول الدكتور محمد حسين الذهبي – رحمه الله–: « قرأت في هذا التفسير فلاحظت عليه أنه كثير العناية بسبك العبارة ،وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتى حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية، ويكاد يكون صاحبنا هو أول المفسرين المبرزين في هذه الناحية[١].

(١) انظر: الذهبي، " التفسير والمفسرون" ١: ٢٤٨.

- كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور: يعد واحدا من كتب التفسير التي تستحق إبراز جهودها من الناحية البلاغية، فقد ظهرت جهوده الجلية في مجال تطبيق الدرس البلاغي، وإظهار بلاغة القرآن الكريم وبيان إعجازه، واهتمامه بالدقائق البلاغية، وهذا نجده بكثرة في كل آي الكتاب الحكيم، فقلما تخلو آية من كتاب الله منه، فهو لا يكتفي بسرد الأوجه البلاغية المتضمنة، بل يعمد إلى تفنيدها ومناقشتها، ويرد على أعلام البلاغة كالزمخشري وغيره، وهذا ما يدل على تضلعه بعلوم العربية بأنواعها البلاغية.

حدود البحث: بعض تطبيقات المفسرين الثلاثة في: مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفاسيرهم: وبرهان الدين البقاعي في (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وأبي السعود العمادي في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، وابن عاشور في (التحرير والتنوير) مع دراسة هذه الآيات وتفسيرها وبيان معانيها..

منهج البحث: اعتمدت في كتابة هذا البحث على نوعين من المناهج، المنهج الاستقرائي التتبعي، والمنهج التحليلي. أما المنهج الاستقرائي التتبعي: فيتمثل في تتبع أقوال هؤلاء المفسرين في بيان تطبيقات مراعاة المقام ومقتضى الحال، وأما المنهج التحليلي: فيتمثل في دراسة هذه الآيات وتفسيرها وبيان معانيها.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة مستقلة قامت بدراسة هذا الموضوع على هذا النحو الوارد في هذا البحث ولكن وقفت على بعض الكتب والكتابات التي تحدث أصحابها في رسائلهم عن هذا العنوان، ومن ذلك:

١. كتاب مراعاة المقام في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، ط/٢، ١٤٤٠هـ.

٢. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط/١، ٢٠٠٣م.
٣. كتاب في البلاغة العربية، علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ.
٤. دراسة دلالة المقام في فهم النصوص الشعرية، محجوب محمد آدم، (جامعة الزعيم الأزهري، المجلة العلمية، ٢٠١٠م).
٥. دراسة مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم، سميرة عدلي محمد رزق، مجلة جامعة أم القرى.
٦. الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، رسالة ماجستير في البلاغة العربية، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب.
٧. دراسة اختيار ما يقتضيه المقام من طرق التصوير: التشبيه أنموذجاً، ستنا محمد علي حمد ، مجلة العلوم الإنسانية. م١٦، ع٥ (٢٠١٥).

وخلاصة ما أضافه الباحث في هذا البحث: بعض تطبيقات المفسرين الثلاثة في: مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفاسيرهم: وبرهان الدين البقاعي في (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وأبي السعود العمادي في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) وابن عاشور في (التحرير والتنوير) مع دراسة هذه الآيات وتفسيرها وبيان معانيها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع معالجته في ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد.

أما **المقدمة:** فيتعرض فيها الباحث لبيان أسباب اختياره، وحدوده، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث والدراسة.

أما **التمهيد:** ففيه تعريف مراعاة المقام ومقتضى الحال، والفرق بينهما.

وأما المبحث الأول: الألفاظ التي أوردها إبراهيم البقاعي في مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفسيره، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مراعاة المقام.

الفرع الأول: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ... ﴾ [البقرة: ١٨]

الفرع الثاني: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ [التوبة: ١٢٩]

الفرع الثالث: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴾ [إبراهيم: ٦]

المطلب الثاني: مقتضى الحال.

الفرع الأول: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ ... ﴾ [آل عمران: ١٩٣]

الفرع الثاني: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ... ﴾ [الأنعام: ١٤٧]

الفرع الثالث: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ... ﴾ [الزمر: ٥٣]

وأما المبحث الثاني: الألفاظ التي أوردها أبو السعود في مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفسيره، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مراعاة المقام.

الفرع الأول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

الفرع الثاني: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ... ﴾ [التحريم: ١٢]

الفرع الثالث: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ... ﴾ [الأعراف: ١٩٣]

المطلب الثاني: مقتضى الحال.

الفرع الأول: ﴿ ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ... ﴾ [هود: ١٠٥]

الفرع الثاني: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ... ﴾ [الطلاق: ٧]
الفرع الثالث: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

وأما المبحث الثالث: الألفاظ التي أوردها ابن عاشور في مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفسيره، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مراعاة المقام.

الفرع الأول: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]
الفرع الثاني: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ... ﴾ [الروم: ٦]
الفرع الثالث: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ... ﴾ [طه: ٢٩]

المطلب الثاني: مقتضى الحال.

الفرع الأول: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ... ﴾ [آل عمران: ١٨٦]
الفرع الثاني: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ۚ ... ﴾ [الأعراف: ٦٤]
الفرع الثالث: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ... ﴾ [الفرقان: ٢٨]

وأما الخاتمة: فتشتمل على نتائج البحث.

تمـــهيد

يتوقف فهمنا لمضمون أي نص على معرفتنا اللغوية، وتفسيرنا للألفاظ ودلالتها اللغوية الظاهرة، فيدرك كل ما يتعلق بفهم النص لغة، من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد، وأمر ونهي، وحقيقة ومجاز، وكذا كل ما كان معيناً على فهم النصّ من المعاني العربية، بينما يتوقف فهمنا لمعنى نص آخر على إدراك ما يكتنفه من ظروف وملابسات ذات صلة به تساعد في تحديد المعنى والأغراض، وما يقصد من دلالات [١].

من تلك الدلالات الظروف الزمانية والمكانية، التي قيل فيها الكلام، والبيئة الفكرية والحياتية المحيطة به، تلك المؤثرات هي ما يسمى بمقتضى الحال وهي التي تؤدي دورا كبيرا وتساعد في نقل المشاعر والأفكار للمتلقي. ومن خصائص اللغة العربية الخيارات الكثيرة التي ينتقي منها المبدع ما يناسب مقامه ومقاله، وهنا يتفاوت المبدعون في إبداعاتهم قوة وضعفا بحسب قدراتهم في اختيار ما يناسب المقام والمقال؛ لنقل المشاعر حسب قيمة خياراتهم الفنية وما يتوفر فيها من إمكانات لغوية [٢].

ومن أهم ما يهتم به البلاغي لمقتضى الحال حيث عرفت بأنها (مطابقة الكلام لمقتضى حَال من يُخَاطبُ به مع فصاحة مفرداته وجُمَله) [٣]

فمقتضى الحال هو: الاعتبار المناسب [٤].

والمراد بالاعتبار المناسب: الأمر الذي اعتبره المتكلم متناسباً بحسب السليقة أو بحسب تراكيب البلغاء؛ فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب للحال والمقام، كالتأكيد والإطلاق وغيرهما [٥].

---

(١) انظر: آدم، "دلالة المقام في فهم النصوص الشعرية". ١٧.

(٢) انظر: حمد، "اختيار ما يقتضيه المقام من طرق التصوير، التشبيه أنموذجا". ١.

(٣) انظر: الميداني، " البلاغة العربية ". ١: ١٢٩.

(٤) انظر: الحنفي، " الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم " ١: ١٩٠.

(٥) انظر: الجناجيّ، " النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق " ١١٠.

وتختلف مواقف الناس عندما يتلقون خبر ما فبعض منهم يصدقه والآخر يكذبه أو ينفيه والبعض عندهم الشك والظنون في صحة الخبر، فالشخص الذكي والفطن يراعي هذه الأمور ويتكلم حسب اقتضاء الكلام، وهو يعلم أن المتلقي المنافي له والمتلقي الذي يستفسر أو المتلقي الخالي الذهن يختلفان وهذا العلم والمعرفة يساعده في استخدام الجملات الاخبارية التأكيدية أو الغير تأكيدية(١).

فالمقام هو: الحالة التي يقال فيها الكلام وذلك كأن يكون المقام مقام حزن وبكاء أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أو غير ذلك).

وقد يعبرون عن المقام بالحال "والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى التكلم على وجه الخصوص، أي الداعي إلى أن يعبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصيته، هي المسماة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم، حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد مقتضاها". (٢) لأنّ المقصود من الاثنين معنى واحدٌ هو الظروف والملابسات التي تلابس الكلام ويكون لها أو يجب أن يكون لها تأثيرها في ذلك النشاط من خارجه بحيث لا تحدد دلالة الكلام أو تتجلى مزاياه إلا في ظلها، وفي ضوء ارتباطه بها وقد ترددت في تراثنا بصدد ذلك الارتباط تلك العبارة الذائعة " لكل مقام مقال" (٣).

الفرق بين الحال والمقام:

الحال والمقام متقاربا المفهوم، والتغاير بينهما أمر اعتباري، وذلك لأن الأمر الداعي "مقام" باعتبار توهم كونه محلاً لورود الكلام فيه على خصوصية ما، و"حال"، باعتبار كونه زماناً له.

(١) انظر: نيا، أمير حسين. وراد، وحيد كريمي. وايوكي، علي نجفى. " جماليات مقتضي الحال ومواضع الخروج عنها في القرآن الكريم". ٦٨٩.

(٢) انظر: التهانوي، " موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ". ١: ٦١٦.

(٣) انظر: العسكري،" الصناعتين ". ١: ١٢٩.

وهناك فرق آخر: وهو: أن المقام تعتبر إضافته للمقتضى – بالفتح–، فيقال: مقام التأكيد والإطلاق، والحذف، والإثبات، كما تعتبر إضافة الحال للمقتضى – بالكسر، فيقال: حال الإنكار وحال خلو الذهن، وغير ذلك.

وعلى هذا: فإذا تفاوتت المقامات اختلفت مقتضيات الأحوال، لأن الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك، واختلافها هو عين اختلاف مقتضيات الأحوال.

وارتفاع شأن الكلام – في الحسن والقبول– يكون بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه يكون لعدم مطابقته لهذا الاعتبار. والمراد بالاعتبار المناسب: الأمر الذي اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة، أو بحسب تتبع تراكيب البلغاء، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب للحال والمقام؛ كالتأكيد، والإطلاق وغيرهما [١].

جهود المفسرين في البلاغة:

اهتم العلماء بمختلف تخصصاتهم ومذاهبهم من أصوليين ومفسرين ولغويين وبلاغيين ونقاد ومتكلمين ومعتزلة، بمراعاة المقام ومقتضى الحال، وعلم التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان [٢]..." لذا كان اهتمام المفسرين منصباً على السياق اللغوي ولغته المستعملة في عصر التنزيل ووقفوا " عند ظاهر اللفظ باعتباره أساس فهم المعنى، ولم يلتفتوا إلى الجوانب التاريخية أو النفسية أو الثقافية إلا في إطار ضيق وبحذر شديد خشية الوقوع في محظور التفسير بالرأي" ولهذا السبب وقفوا عند أسباب النزول بدرجاتها المتفاوتة واعتنوا برواياتها الصحيحة. وجعلوا من

(١) انظر : الجناجيُ،"البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع" . ٨٤.
(٢) انظر: الزركشي، التفسير البرهان في علوم القرآن ١: ١٣.

شروط المفسر الإلمام بعلوم اللغة العربية مثل: النحو والصرف والاشتقاق وعلوم البلاغة الثلاثة البيان والمعاني والبديع(١).

وقد نشأت علوم البلاغة لخدمة النص القرآني المعجز الذي كان . ولا يزال – شغل الدارسين الشاغل ؛ فهو النص الذي تحدى بلاغة القوم فاحتاج إلى دراسات تشرح إعجازه، وتبين مجازه، وتجلو حقيقته وكناياته ولطيف إشاراته. ومن هنا جاء هذا الكم من الكتب البلاغية التي تناولت النص الشريف ككتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، (ومعاني القرآن) للفراء، وكتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، وكتاب (النكت في إعجاز القرآن) للرمّاني، وكتاب (بيان إعجاز القرآن) للخطابي، وكتاب (إعجاز القرآن)للباقلاني، وآخر بالعنوان نفسه للقاضي عبد الجبار، وصولاً إلى كتاب (دلائل الإعجاز) للجرجاني(٢) في القرن الخامس الهجري (٤٧١ هـ)، ووضع نظرية علم المعاني في كتابه (دلائل الإعجاز) ونظرية علم البيان في كتابه (أسرار البلاغة)، كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع.

فعبد القاهر الجرجاني إذن هو واضع أصول علمي المعاني والبيان ومؤسسهما في العربية، وقد جعل من مباحث كلا العلمين وحدة يمكن النظر فيها نظرة شاملة .

والعجيب أنه لم يحدث بعده تغيير يذكر في هذين العلمين، لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله دلالة القواعد البلاغية فيهما، وكان ذلك إيذاناً بأن تتحول تلك القواعد من بعده إلى قوانين جامدة. وقد فتن البلاغيون بعمله فراحوا يرددون كلامه ويقفون عنده لا يتجاوزونه إلى عمق أو ابتكار، كأنما البحث في البلاغة قد انتهى بعبد القاهر الجرجاني (٣).

(١) انظر: داود، سياق المقام وأثره في توجيه دلالة النص، ٥.
(٢) انظر: قاسم، " علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)". ٥.
(٣) انظر: عتيق، " في البلاغة العربية (علم المعاني) ". ٢٦.

ومن أوائل من اتجهوا إلى الاختصار والتلخيص الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، فقد اختصر فيه كتابي (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) لعبد القاهر.

وظهر بجانب الرازي وفي عصره عالم ضرب بسهم وافر في الفلسفة والمنطق وأصول الفقه والاعتزال واللغة والبلاغة وكان له تأثير خطير على البلاغة العربية، ذلك العالم هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ للهجرة ، صاحب كتاب (مفتاح العلوم).

فمن خلال مجهودات البلاغيين وبخاصه عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) ، والزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨ هـ) والفخر الرازي (٦٠٦ هـ) استطاع السكاكي تحقيق أمرين: **أحدهما** أن ينفذ إلى عمل ملخص دقيق لما نشره أولئك البلاغيون في كتبهم من آراء، وكذلك لما توصل إليه هو من أفكار **وثانيهما** أن يصوغ كل ذلك في صيغ مضبوطة محكمة، مستعيناً فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب. وبهذا تحولت البلاغة في مفهومه أولاً وفي تلخيصه ثانياً إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم، فهي عنده قوانين وقواعد صبت في قوالب منطقية جافة باعدت بينها وبين وظيفتها الأساسية من إمتاع النفس، وإرهاف الحس وتنمية الذوق والتمكين لذوي المواهب الأدبية من القدرة على الخلق والإبداع [١].

جهود برهان الدين البقاعي في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور):
إن تفسيره هذا جاء فريداً في بابه، حيث لم يصنف قبله مثله على نمطه، فكان البقاعي هو الرائد الأول في هذا الميدان، ولم يقتصر هذا التفسير على التناسب فحسب، بل تعداه إلى تجلية أسرار القرآن الكريم عن طريق البلاغة العربية، وأسرار اللغة العربية نفسها [٢].

(١) انظر: عتيق، " في البلاغة العربية (علم المعاني) ". ٢٧.
(٢) انظر: الموصلي، "الإمام العلامة برهان الدين البقاعي ومنهجه في التفسير " ١: ٢٩٧.

جهود أبي السعود في إبراز البلاغة القرآنية وبيان وجوه إعجازه، في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: والحق أن هذا التفسير غاية في بابه، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية، بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كُتب في التفسير، فصاحب "العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم"، يقول عنه في كتابه: "وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأزمان، ولم تقرع به الآذان، فصدق المثل السائر: كم ترك الأول للآخر" (١).

جهود الطاهر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير): حيث ظهرت جهوده الجلية في مجال تطبيق الدرس البلاغي، وإظهار بلاغة القرآن الكريم وبيان إعجازه، واهتمامه بالدقائق البلاغية، وهذا نجده بكثرة في كل آي الكتاب الحكيم، فقلما تخلو آية من كتاب الله منه، فهو لا يكتفي بسرد الأوجه البلاغية المتضمنة، بل يعمد إلى تفنيدها ومناقشتها، ويرد على أعلام البلاغة كالزمخشري وغيره، وهذا ما يدل على تضلعه بعلوم العربية بأنواعها البلاغية (٢).

(١) انظر: الذهبي، "التفسير والمفسرون" ١: ٢٤٧.

(٢) انظر: الشوبكي، "الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع" ٢.

المبحث الأول
الألفاظ التي أوردها برهان الدين البقاعي[١]
في مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفسيره،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مراعاة المقام

الفرع الأول: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ... ﴾ البقرة: ١٨.

حظي التقديم والتأخير عند علماء البلاغة باهتمام كبير، كونه يؤثر في شكل الجملة ومعناها، ويكسب الكلام جمالا وتأثيراً؛ لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتّبة في ذهن المتكلم بحسب الأهمية عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة في إحاسسه ومشاعره، فلا بُدَّ أنْ يكون هناكَ دوافع لظهور التقديم والتأخير، لذلك بحث علماء البلاغة في تلك الدوافع، التي وضعها الزملكاني باعتبارات خمسة: العلّةِ والذَّاتِ والشَّرفِ، والرتبة، والزمان [٢]، وكان من أهم أغراضها مراعاة التقديم للأهمية، والقرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض بدقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة وتأخيرها حسبما

(١) المفسر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، الخرباوي، البقاعي، الشافعي، نزيل القاهرة ثم دمشق. عالم، أديب، مفسر، محدث، ومؤرخ، يقول الشوكاني: برع في جميع العلوم وفاق الأقران وأنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ولد بقرية خربة روحا من عمل البقاع سنة ٨٠٩هـ، ونشأ بها، ثم تحول إلى دمشق، ثم دخل بيت المقدس، ثم القاهرة، ومات بدمشق سنة ٨٨٥ هـ، من مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآي والسور في التفسير (أدنه وي، "طبقات المفسرين" ٣٤٧، رقم ٤٥٤، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١/١٧).

(٢) انظر: الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ٢٩٠.

يقتضيه المقام، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة، فمثلا قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ...﴾

معنى قوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾: صم عن الهدى، فلا يسمعونه، بكم عنه؛ فلا ينطقون به، عمي عنه؛ فلا يبصرونه [١].

وقوله: ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾: يعني لا يرجعون إلى الهدى [٢].

وقوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾: إنا نعلم أنهم كانوا يبصرون ويسمعون؛ لكن نفي عنهم لما لم ينتفعوا بالبصر والسمع واللسان؛ كمن ليس له ذلك في الأصل، واللَّه أعلم، ويحتمل وجها آخر: وهو أن شدة بغضهم وحسدهم لنبينا مُحَمَّد – ﷺ– تمنعهم عن فهم ما خوطبوا به، وتحول بينهم وبين معرفة ذلك – فكانوا كمن ليس لهم ذلك رأسًا [٣].

لما فرغ سبحانه وتعالى من المثل كشف المراد بظلماتهم بأنها ما في آذانهم من الثقل المانع من الانتفاع بالسماع، وما في ألسنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشىء عن عمى البصائر وفساد الضمائر والسرائر، فقال: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ لما تقدم من الختم على مشاعرهم، ولما كان في مقام إجابة الداعي إلى الإيمان قدم السمع لأنه العمدة في ذلك، وثنَّى بالقول لأنه يمكن للأصم الإفصاح عن المراد، وختم بالبصر لإمكان الاهتداء به بالإشارة [٤].

وتكمن الخلاصة بأنّه في خطاب الكفار كان من البلاغة مراعاة للمقام أن يبدأ بالسمع، لأنه يمكن للأصم الإفصاح عن المراد، وكل تقديم وتأخير مقصود من الناحية البيانية والبلاغية ولكن صاغها القرآن الكريم بأسلوب معجز.

(١) انظر: ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز ، ١: ١٢٥.
(٢) انظر: السمرقندي، بحر العلوم ، ٢٩٠.
(٣) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة. ١: ٣١.
(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ١: ١٢٠.

الفرع الثاني: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ... ﴾ **التوبة: ١٢٩.**

إذا كان النقاد والبلاغيون قد جعلوا التناسب مقياسا من مقاييس النقد وحسن البيان، فإن علماء الإعجاز أجمعوا على أن التناسب هو أساس إعجاز القرآن، ومع تنوع اهتمامهم به، لم يخرج هذا الاهتمام عن دائرة ملاحظة التناسب بين الألفاظ والتراكيب.

وفي هذه الآية التي ذكرها الله في القرآن الكريم التي أشار إليه برهان الدين البقاعي: دقة اللفظ القرآني ومناسبته لمواضعه في الآيات، كما أنّ هناك أغراض بلاغية أخرى وهي التفاتٌ مِن الخطابِ إلى الغيْبَةِ فمثلا: قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

لما أمر الله رسوله ﷺ أن يبلغ في هذه السورة تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها، ختمها بما يوجب سهولة تحملهم تلك التكاليف، وهو أن هذا الرسول ﷺ منكم، فكل ما يحققه فهو عائد إليكم، وهو بحال يشق عليه ضرركم، وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير [١].

قوله تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي اجتهدوا في تكليف فطرهم الأولى أو ولوا مدبرين عنك بالانصراف المذكور أو غيره بعد النصيحة لهم بهذه الآية ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فلا مكافىء له فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولما قام الدليل على أنه لا كفؤ له، وجب قصر الرغائب عليه، فقال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾لأن أمره نافذ في كل شيء ﴿وَهُوَ رَبُّ ﴾ أي مالك ومخترع ومدبر؛ ولما كان في سياق القهر والكبرياء بالبراءة من الكفار والكفاية للأبرار، كان المقام بالعظمة أنسب كآية النمل فقال: ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي المحيط بجميع الأجسام الحاوي لسائر الأجرام الذي ثبت بآية الكرسي وغيرها أن ربه أعظم منه لأن عظمته على الإطلاق فلا شيء إلا هو في قبضته وداخل في دائرة مملكته، وإذا كان كافي فأنا بريء ممن تولى عني وبعد مني كائناً من كان في كل زمان ومكان فقد عانق آخر السورة أولها وصافح منتهاها مبتدأها والله تعالى أعلم [٢].

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير. ١١: ٨٩.

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ٩: ٦٠.

وهناك أغراض البلاغية أيضا: وهي في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ ففيه التفاتٌ مِن الخطابِ إلى الغيْبَةِ؛ ولك لأنّ التَّولِّي مع هذا البيانِ مَكْروه، ولِهذا لمْ يُخاطَبوا بهِ فَلَمْ يَقُلْ: فإنْ تولَّيتم ".

الفرع الثالث:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ... ﴾**إبراهيم:٦.**

إن الأصل في الكلام الذكر، ولا يُحذف منه شيء إلا بدليل يقتضيه المعنى أو تقتضيه الصناعة النحوية وسواء تدل عليه قرينة لفظية أم تدلّ عليه قرينة المقام ولما كان القرآن الكريم كتابا في قمة الإعجاز في أسلوبه ونظمه، وفي ذروة البلاغة في حُسن بيانه، فقد ورد فيه الحذف والذكر عموماً وفي المتشابه اللفظي منه خُصُوصاً بصورة فنّيّة رائعة.

وقد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفٌ أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال، فمن ذلك قوله تعالى كما أشار إليه برهان الدين البقاعي في تفسيره: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾

لما ذكر ما أمر به موسى عليه السلام، وكان قد تقدم أمره الشريف إليه ﷺ بالاقتداء بالأنبياء الذين هو من رؤوسهم وأولي عزمهم، واذكر لهم خبره فإن أيامه من أعظم أيام الله: أشدها محنة وأجلها منحة ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ﴾ مذكرا لهم بأيام الله معهم ثم أيامه مع غيرهم.

قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمۡ ﴾: فإنه: يوردونكم، ويذيقونكم، ويولونكم(١)، وقوله: ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾: أي يستحيون نساءكم للاسترقاق والاستخدام كباراً (٢).

ولما كان المراد بالتذكير بالأيام زيادة الترغيب والترهيب، أشار إلى أن مقام الترهيب هنا أهم للحث على تركهم الضلال بترك عادته في الترفق بمثل ما في

(١) انظر: الطبري، " جامع البيان ". ٢: ٤٠.

(٢) انظر: الماوردي ، " النكت والعيون ". ٢: ٢٥٥.

البقرة[1] والمائدة[2] من الاستعطاف بعاطفة الرحم بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ [البقرة: ٥٤] فأسقطها هنا إشارة إلى أن المقام يقتضي الإبلاغ في الإيجاز في التذكير للخوف من معاجلتهم بالعذاب فقال: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾[3].

ويمكن الخلاصة بأنّه في هذا الموضع ناسب حذف لفظ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ دون المواضع الأخرى ما في البقرة والمائدة، لأن المقام هنا، مقام ترهيب وذلك للحث على تركهم الضلال بترك عادته في الترفق، وإشارة إلى أن المقام يقتضي الإبلاغ في الإيجاز في التذكير للخوف من معاجلتهم بالعذاب وأما في المواضع الأخرى ما في البقرة والمائدة من الاستعطاف بعاطفة الرحم بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾. تحتاج إلى إعادة صياغة

المطلب الثاني: مقتضى الحال

الفرع الأول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ...﴾ آل عمران: ١٩٣.

إذا كان الإنشاء قسيم الخبر، وكان الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، فإن الإنشاء إذن هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه.

وقد استعمل أحد أساليب الإنشاء وهو خروج الأمر عن معناه الأصلي، وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، للدلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني: الدعاء، وأحد أساليب الخبر: مراعاة حال المتكلم في صياغة الكلام بالمؤكدات، وهو كثير شائع في النظم الكريم، وله في النفس وقع عظيم وأثر بالغ، كما أشار إليه برهان الدين البقاعي في تفسيره من ذلك قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا

(١) يعني قوله تعالى: ﴿ٱقى قي كا كل كم كى كي لم لى لي﴾ البقرة: ٥٤.
(٢) يعني قوله تعالى: ﴿ٱكي لم لى لي ما مم نر نز نم﴾ المائدة: ٢٠.
(٣) انظر: البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". ١٠: ٣٨٣.

مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [1].

لما ابتهلوا بالآيتين السابقتين الآيتين في الإنجاء عن النار، توسلوا بذكر مسارعتهم إلى إجابة الداعي بقولهم ﴿ رَّبَّنَآ ﴾ لما كانت حالهم لمعرفتهم بأنهم لا ينفكون عن تقصير وإن بالغوا في الاجتهاد، لأنه لا يستطيع أحد أن يقدر الله حق قدره شبيهة بحال من لم يؤمن؛ اقتضى المقام التأكيد إشارة إلى هضم أنفسهم بالاعتراف بذنوبهم فقالوا مع علمهم بأن المخاطب عالم بكل شيء: ﴿ إِنَّنَا ﴾ فأظهروا النون إبلاغاً في التأكيد ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾ أي من قبلك، وزاد في تفخيمه بذكر ما منه النداء مقيداً بعد الإطلاق بقوله: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ ثم فسروه تفخيماً له بقولهم: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ ﴾ ثم أخبر بمسارعتهم إلى الإجابة بقولهم: ﴿ فَـَٔامَنَّا ﴾ أي عقب السماع. ثم أزالوا ما ربما يظن من ميلهم إلى ربوة الإعجاب بقولهم تصريحاً بما أفهمه التأكيد لمن علمه محيط: ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [2].

ذكر أحمد مطلوب أن: من أساليب الإنشاء الطلبي: الأمر والذي قد يخرج عن معناه الأصلي- وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن هذه الأغراض المجازية: الدعاء: وهو الطلب على سبيل التضرع، فالآية الكريمة المراد منه التضرع إلى الله والتوجه إليه والدعاء له؛ لأن الله -جل وعلا- لا يأمره أحد من خلقه. وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء في الآيات الكريمة هو إظهار كمال الخضوع لله -عز وجل- وبيان شدة الرغبة في تحقيق تلك الأفعال حتى كأنها أمور مطلوبة من الله -تبارك وتعالى-[3].

الفرع الثاني: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ... ﴾ [الأنعام: ١٤٧]

(١) انظر: "البلاغة ٢" المعاني – جامعة المدينة. ٩٤.
(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ٥: ١٥٨.
(٣) انظر: الرفاعي، أساليب بلاغية. ١١٠.

لما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الكفار أنّهم حرموا أشياء مما رزقهم الله افتراء عليه، فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل، ثم جادلهم فيه، وأقام الدلائل على بطلانه، وعارضهم وناقضهم، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه الآيات.

ذكر برهان الدين البقاعي في تفسيره: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ﴾ والتعبير بأداة الشك مشير إلى أن الحال يقتضي أن يستبعد أن يقع منهم تكذيب بعد هذا ﴿رَّبُّكُمْ﴾ أي المحسن إليكم بالبيان والإمهال مع كل امتنان ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي فهو مع اقتداره قضى أنه يحلم عنكم بالإمهال إلى أجل يعلمه، ولما أخبر عن رحمته، نَوَّهَ بعظيم سطوته فقال: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ أي إذا أراد الانتقام ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي القاطعين لما ينبغي وصله، فلا يغتر أحد بإمهاله في سوء أعماله وتحقيق ضلاله.

وفي هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مسبوك على الحد الأقصى من البلاغة.

ولما تم ذلك فعلم أن إقدامهم على الأحكام الدينية بغير حجة أصلاً، اقتضى الحال أن يقال: قد بطل بالعقل والنقل جميع ما قالوه في التحريم على وجه أبطل شركهم، فهل بقي لهم مقال؟ (١).

وفي هذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين، وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن(٢).

فلما كان هذا التكذيب خارجا عن دائرة المنطق والمعقول والمكذب به رسول؛ اقتضى الحال استعمال ﴿إِنْ﴾ دون غيرها لأنها ترد في سياق الشك دون اليقين، فكأن البيان يشير أن هذا التكذيب حقه ألا يكون، وهو مشكوك في حصوله وخارج عن المعقول، فإن حصل وكان فليكن منك الجواب على النحو المذكور ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وفي هذا الخطاب اكتفاء بالتلميح عن التصريح. وهو أسلوب دعوي بديع في التخاطب مع المدعو.

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". ٧: ٣٠٩.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير ". ٣: ٣٢١.

الفرع الثالث: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ... ﴾[الزمر: ٥٣]

إن من ألوان البلاغة الالتفات[١] الذي يقوم بتنشيط السامع وإيقاظه للاستماع على عادة الأدباء في افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، فالكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد فإن النفس مجبولة على حب المتجدد والتحول الذي يعطي الأسلوب رونقاً جذاباً، وهي كظاهرة بلاغية مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، لذلك اهتم بدراسته علماء البلاغة وافردوا له فصولا في دراساتهم البلاغية.

ومن الأساليب القرآنية التي ذكرها الله في كتابه الالتفات من التكلم إلى الغيبة كما أشار إليه برهان الدين البقاعي في تفسيره فقال: لما حَذَّرَ سبحانه في هذه السورة ولا سيما في هذه الآيات فطال التحذير، وختم بالحث على الإيمان، والنظر السديد في العرفان، وكانت كثرة الوعيد ربما أيأست ونفرت وأوحشت، وصدت عن العطف وأبعدت، قال تعالى مستعطفا مترفقا كلام ذوي النعمة على لسان نبي الرحمة صارفا القول إلى خطابه بعد أسلوب الغيبة: ﴿قُلْ﴾ أي يا أكرم الخلق وأرحمهم بالعباد، ولفت عما تقتضيه «قل» من الغيبة إلى معنى الخطاب زيادة في الاستعطاف، وزاد في الترفق بذكر العبودية والإضافة إلى ضميره عريا عن التعظيم، والسر في الالتفات من المتكلم إلى الغائب في قوله: من رحمة الله حيث كان ظاهر السياق أن يقال: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمتي.فقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي إكرام المحيط بكل صفات الكمال، فيمنعكم ذلك القنوط من التوبة التي هي باب الرحمة، ولعظم المقام أضاف إلى الاسم الأعظم، ثم علل

(١) تعريف الالتفات: هو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلّم – والخطاب – والغيبة" مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أوّلاً دون التحوّل عنها (الميداني، " البلاغة العربية ". ١: ٤٧٩).

ذلك بقوله على سبيل التأكيد لظنهم أن كثرة الوعيد منعت الغفران، وحتمت الجزاء بالانتقام، وكرر الاسم الأعظم تعظيما للحال، وتأكيدا بما فيه من معنى الإحاطة والجمع لإرادة العموم: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ ولا يبالي، لكنه سبق منه القول أنه إنما يغفر الشرك بالتوبة عنه، وأما غيره فيغفره إن شاء بتوبة وإن شاء بلا توبة، ولا يقدر أحد أن يمنعه من شيء من ذلك [١].

كما ذكره حسن الجناجيّ[٢] في كتابه مؤيدا لذلك بقوله: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ فقد عبر عن المعنى أولاً بطريق التكلم، فقال: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ ثم التفت فعبر عنه بطريق الغيبة فقال: ﴿ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: "من رحمتي" وذلك لما في الالتفات من فائدة اقتضاها المقام، وذلك أنه أجرى الحديث أولاً على طريق التكلم لأن الله تعالى أراد أن يغمر عباده الذين أسرفوا على أنفسهم في المعاصي ثم ندموا على ما قدمت أيديهم، بعطفه وأن يسيل عليهم رداء الأمان فأضافهم إليه سبحانه، ولكنه التفت فعبر عن نفسه بطريق الغيبة فقال: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ تعظيماً لاسمه سبحانه، وإشعاراً للمخاطبين بما يحمله هذا الاسم من عظمة، فيطمئنوا إلى رحمته، لأن أخص صفات الله تعالى هي الرحمة [٣].

(١) انظر: البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". ١٦: ٥٣٣.

(٢) انظر: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُّ، وُلِدَ بقرية «جناج» عام ١٩٣٧ م، تُوفِّي عن عمر يناهز ٧١ عامًا، وذلك عام ٢٠٠٨ ، مسترجع من الرابط: https://www.alukah.net/authors/view/home/5470/.

(٣) انظر: الجناجيُ، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق. ٣٢٥.

المبحث الثاني: الألفاظ التي أوردها أبو السعود[1] في مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفسيره

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مراعاة المقام

الفـــــــــرع الأول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ **الأعراف: ١٥٨ .**

والالتفات في القرآن كثير، فهو قد ينتقل من التكلم إلى الخطاب أو إلى الغيبة، أو من الخطاب إلى غيره، أو من الغيبة إلى آخر، بحسب الغرض الذي يراد منه وذلك تطرية للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة له من الملال، وحسب ما يقتضيه المقام، ومن ذلك الرجوع أو العدول عن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى كما أشار إليه أبو السعود في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ

(١) المفسر أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادى، ، ولد سنة ٨٩٨ بقرية بالقرب من القسطنطينية، مفتي التخت السلطاني، ويذكر الشوكاني (أن السلطان سليمان عَيّن له في وظيفته كمفتي للعاصمة راتباً يومياً قدره مائتين وخمسين درهماً)، وكان السلطان سليمان القانوني، من أعظم سلاطين الدولة العثمانية وأكثرهم تشريعاً حتى سمي بالقانوني، ولم يكن يستغني السلاطين عن آراء شيوخ الإسلام ومفتى الآستانة (اسطنبول) وفتاويهم، ولذا فقد اكتسب أبو السعود أهمية أخرى، وهي إشرافه على القوانين التي سنها القانوني. وهو أعظم موالي الروم، وأفضلهم لم يكن له نظير في زمانه في العلم، والرئاسة، والديانة أخذ عن علماء عصره، وتوفي بالقسطنطينية في ٥ جمادى الأولى سنة (١١٧٦ هـ) ، ودفن بجوار أبي أيوب الانصاري. من تصانيفه: إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم في تفسير القرآن في مجلدين ضخمين. كحالة، "معجم المؤلفين". ١١: ٣٠١، "الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة". ٣: ٢٤١٨، الغزي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". ٣: ٣٣، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١: ٢٦١، شيخ الإسلام أبو السعود أفندي (٨٩٨ – ٩٨٢هـ / ١٤٩٣ – ١٥٧٤م) ٢٨٦..

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ... ﴾

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ حال من الضمير في إليكم ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه صفة للجلالة وإن حيل بينهما بما هو متعلق بما أضيف إليه فإنه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيان لما قبله من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وقوله تعالى ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ لزيادة تقرير ألوهيته والفاء في قوله تعالى ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته ﷺ وإيراد نفسه عليه ﷺ بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة المبالغة في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾ لمدحه ﷺ بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل أهل الكتابين على الامتثال بما أمروا به والتصريح بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به [1].

فإنه إنما قال: فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل: «فآمنوا بالله وبي» عطفا على قوله: إني رسول الله إليكم جميعا لكي تجري عليه الصفات التي أجريت عليه. وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان أنا أو غيري، إظهارا للنصفة وبعدا من التعصب. فقرر أولا في صدر الآية أني رسول الله إلى الناس، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرضين: الأول منهما إجراء تلك الصفات عليه، والثاني الخروج من تهمة التعصب [2].

فإن قلت: هلاّ قيل: فآمنوا بالله وبي، بعد قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾؟ قلت: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي

(١) انظر : العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ٣: ٢٨٠.

(٢) انظر : عتيق، "علم البديع" ١٤٨ .

وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص الموصوف كائناً من كان إظهاراً للنصفة، وتفادياً من العصبية).

الفرع الثاني: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ... ﴾ **الأعراف: ١٩٣.**

وفي هذا الموضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، كما أشار إليها أبو السعود في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾

معنى قوله تعالى: ﴿صَٰمِتُونَ ﴾: يعني ساكتون يعني النَّبِيّ- ﷺ- لأنهم لا يتبعوكم [١].

لما حكى الله سبحانه وتعالى عن الشرك وعباد الأصنام عامة، وينتظم فيهم مشركو مكة وأمثالهم ممن نزل القرآن في عهدهم، وتوبيخ لهم بتفصيل أحوال أولئك الشركاء التي تنافي ما اعتقدوه [٢].

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر المنفي عنهم وأيسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والإرشاد إلى طريق حصوله من غير أن يحصله الطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبىء عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت أي إن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره ﴿ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع أي مستو عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحتِ فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية [٣].

(١) انظر : الأزدي ، تفسير مقاتل بن سليمان ٢: ٨٠.
(٢) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. ١٠: ٢٨٦.
(٣) انظر: العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". ٣: ٣٠٥.

الفرع الثالث: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ... ﴾ **التحريم: ١٢**

إنَّ القرآن الكريم يراعي المقام في ذكر التعبير، وقد يراعي المقام في ترك التعبير فيما يظن أنه سيذكره في سياقه، وقد يكون الذكر عاما، وقد تكون مراعاة المقام في الترك، فلا يذكر أمرا فيما يظن أنه سيذكره، وكل ذلك لسبب، فهو إذا ذكر فإنما يذكر لأمر يقتضيه المقام، وإذا لم يذكر فإن ذلك لأمر يقتضيه الحال[١].

ومن مراعاة المقام في الذكر والترك مثلاً قوله تعالى كما ذكره أبو السعود في تفسيره : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾

معنى قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها، وذلك فرجها، من روحنا من جبرئيل، وهو الروح [٢].

أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أن النفوس إن لم تكن مستعدة لقَبول الإيمان وفي جوهرها صفاء ونقاء .. فلا يجدي فيها الغلظة والعبرة ولا مخالطة المؤمنين المتقين، وكذلك إذا كان جوهر النفس نقيًا خالصًا من كدورة الكفر والنفاق فمجاورتها للكفرة وعشرتها إياهم لا تغير من حالها شيئًا، ولا يؤثر فيها ضلال الضالين، ولا عتو الظالمين، وكذلك مريم ابنة عمران التي عفت فآتاها الله سبحانه الشرف والكرامة وأنجبت نبي الله عيسى، وصدقت بجميع شرائعه وكتبه، وكانت من العابدين القانتين.

جاء ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ أي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم [٣].

---

(١) انظر: السامرائي، "مراعاة المقام في التعبير القرآني" ٧.

(٢) انظر: الطبري، " جامع البيان " ٢٣: ٥٠٠.

(٣) انظر: العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ٨: ٢٧٠.

فقال سبحانه: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ ولم يقل و(كانت من القنتات)، وذلك للزيادة في تكريمها ، فإنّ القنوت يقع من المذكر والمؤنث، وإذا اجتمعا غلب الذكر على المؤنث، فكأنه في التقدير: كانت من العباد القانتين، فعم في القانتين، ولأنها كانت في قنوتها وخدمتها لبيت المقدس مقام رجل أو رجال [1].

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قيل مِنَ الْقانِتِينَ على التذكير؟ قلت: لأنّ القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه. ومِنْ للتبعيض. ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، على أنها ولدت من القانتين، لأنها من أعقاب هرون أخى موسى صلوات الله عليهما [2].

المطلب الثاني: مقتضى الحال.

الفرع الأول: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ... ﴾ **الأنعام: ٥٩.**

من الأساليب القرآنية التي ذكرها الله في كتابه مجيء أسلوب القصر [3] الحقيقي للتأكيد في مقتضى الحال كما أشار أبو السعود في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ... ﴾

أن الله سبحانه وتعالى لما أمر رسوله ﷺ أن يبين للمشركين أنه على بينة من ربه فيما بلغهم إياه من رسالته، وأن ما يستعجلونه من عذاب الله تعجيزًا أو تهكمًا

(١) انظر: القيرواني، النكت في القرآن الكريم، ص٥٠٤.

(٢) انظر: الزمخشري، تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤: ٥٧٣.

(٣) القصر لغة: الحبس، واصطلاحاً: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وتقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين:

(أ) قصر حقيقي: وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألا يتعدَّاه إلى غيره.

(ب) وقصر إضافي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:١٦٥-١٧٠).

ليس عنده، وإنما هو عند الله تعالى، وقد قضت سنته أن يجعل لكل شيء أجلًا وموعدًا لا يتقدم ولا يتأخر، وأن الله تعالى هو الذي يقضي الحق ويقصه على رسوله .. ذكر هنا أن مفاتح الغيب عنده، وأن التصرف في الخلق بيده ... [١].

معنى قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ خزائن الغيب [٢].

قال أبو السعود ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا ﴾ تأكيد لمضمون ما قبله وإيذان بأن المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى أن ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى ألزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لأخبركم وقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح [٣] فتطلّب مقتضى الحال مجيء أسلوب القصر ليؤكد بأنه لا يعلم بتلك العينات ولا يطلع عليها غير الله تعالى.

ويمكن الخلاصة بأنّه: في الآية طريقان من طرق القصر؛ **الأول:** التقديم ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ حيث قدم المتعلق وهو هنا الظرف، وهو في موقع الخبر، **والثاني:** النفي والاستثناء ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا ﴾ فمفاتح الغيب عنده وليست عند غيره، وعلمها مقصور عليه تعالى، منفي عن كل ما عداه، وتكرار القصر أفاد تأكيد هذه الحقيقة وتقريرها؛ وهي أن العلم بالغيب مختصّ به تعالى لا يتعداه إلى أحد من خلقه [٤].

الفرع الثاني: ﴿ ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ... ﴾ هود: ١٠٥.

يُعد أسلوب الحذف من الأساليب القرآنية الجميلة التي أدّت دوراً بارزا في رسم الصورة القرآنية. وكذلك أدى دورًا واضحًا في إظهار الحال الذي يتطلبه المقام.

(١) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٨: ٣٧٠.
(٢) انظر: الطبري، جامع البيان ، ١١: ٤٠١.
(٣) انظر: العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣: ١٤٣.
(٤) انظر: عامر، " فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ٢٥٠.

وقد يقع في الاسم أو الفعل أو الحرف، وقد يذكر في مكان ويحذف في آخر مشابه له من حيث السياق، وفي القرآن الكريم لا تذكر كلمة إلا إذا اقتضاها السياق وتطلبها النظام ولا تحذف كلمة إلا وحذفها أبلغ وأنسب، وأكثر ترابطاً في الأسلوب، وأحكمُ للصياغة الفنية المعجزة لأن نظم القرآن أرفُعُ أنماط الكلام ومن ثم فلا حشو ولا تطويل يفسد به المعنى ويترتب عليه الملل؛ ولكل مقام مقال(١).

ومن الأساليب القرآنية التي ذكرها الله في كتابه مجيء أسلوب الحذف للتخفيف من كثرة دورانه في الاستعمال، ولأنّ لغة العرب اشتهرت بلغة الإيجاز والاختصار كما أشار إليها أبو السعود في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ... ﴾

لما ذكر الله سبحانه بأنه يجمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم، ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وقد سبقت كلمة الله في وجود أناس معدودين من ذرية آدم، ضرب مدة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة (٢).

﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ أي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء أجله ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ أي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو العامل في الظرف أو الانتهاء المحذوف في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٤] أي ينتهي الأجل يوم يأتي أو المضمر المعهود أعني أذكر ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ عز سلطانه في التكلم، ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ ﴾ وجبت له النار بموجب الوعيد ﴿ وَسَعِيدٌ ﴾ أي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الأول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس أو للناس وتقديم الشقي على السعيد لأن المقام مقام التحذير والإنذار (٣).

(١) انظر: "البلاغة "٢ – المعاني – جامعة المدينة، ٤٠٤.
(٢) انظر: الصابوني، "تفسير ابن كثير". ٤: ٣٠٠ بتصرف.
(٣) انظر: العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". ٤: ٢٤١.

الفرع الثالث: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ... ﴾

يعد القرآن الكريم حاملا رسائل وأساليب متعددة كالخبري و الإنشائي والمجازي ويميل الإنسان دائما إلى سماع الأخبار، ولكن في قراءة القرآن الكريم يميل إلي الخبر السار الذي يأتي بين سطور كتاب الله حاملًا رسالةً وبشرى خير للقارئ حتى تزول غمته أو ينجلي صدره فيعد الاسلوب الخبري أكثر الأساليب مصداقية لأنه يفيد بأن الإخبار عن أمر ما ثابت وصادق لا يحتمل حمل التشكيك أو البطلان.

ومن المعلوم أنّ الكلام المُتلقَى لابد أن يكون ملائماً للغرض مناسباً للحال، فحقّ الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائداً عنها، لِئلا يكون عبثا، ولا ناقصاً عنها، لئلا يخلّ بالغرض، وهو: الإفصاح والبيان، ولهذا فإنّ من أضرب الخبر أن المخاطب الذي يلقى إليه الخبر إذا كان مترددا في حكمه حسن توكيده له ليتمكن مضمون الخبر من نفسه وهو (الخبر الطلبي).

من الأساليب القرآنية التي ذكرها الله في كتابه من مراعاة مقتضى الحال، فهو مراعاة حال المخاطب بأن يؤكد له الكلام بأحد المؤكدات، كأن يكون ظانّا في الأمر أو شاكّا أو مترددا أو شاكاً، كما أشار إليها أبو السعود في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾.

أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر مقدار العدة للصغار والكبار والحوامل .. أرشد إلى ما يجب للمعتدة من النفقة والسكنى على مقدار الطاقة [1] بقوله:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ وإن قَـــلَّ أي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ جَلَّ أو قَلَّ فإنه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهود وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ أي عاجلا أو آجلا [2].

(١) انظر: الهرري، "تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن". ٢٩: ٤٠٠.
(٢) انظر: العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". ٨: ٢٦٣.

فالآية موجهة إلى الرجل المطلق الذي ليس لديه سعة من المال والذي تطالبه الشريعة – رغم ذلك – بالإنفاق قدر استطاعته على زوجه الحاضنة لابنه ، فالمخاطب هنا قد يكون لديه شك أو تردد في أن تعوض له هذه النفقة من الله عز وجل، فكان من مقتضى الحال أن يثبت له القرآن الكريم ذلك ويؤكده بأحد المؤكدات – وهي السين – حتى يزيل عنه ذلك الشك أو التردد [1].

(١) انظر: "مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم" ١٠، أحال الباحث إلى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٨: ٢٦٣، بتصرف.

المبحث الثالث
الألفاظ التي أوردها ابن عاشور[1]
في مراعاة المقام ومقتضى الحال في تفسيره،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مراعاة المقام.

الفرع الأول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ **البقرة: ٢٠٣.**

من الأساليب التي ذكرها القرآن الكريم التي أشار إليه الطاهر ابن عاشور دقة اللفظ القرآني ومناسبته لمواضعه في الآيات بما يقتضيه المقام، ومن عجائبه عظمة إعجاز ألفاظه، ودقتها ومناسبتها لموضعها؛ كما قال ابن عطية رحمه الله تعالى: كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد [2].

فقال: لما ختم ربنا بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ وهي آخر أيام الحج، وأشير في ذلك إلى التفرق والرجوع إلى الأوطان بقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ إلخ، عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وصية جامعة للراجعين من الحج أن يراقبوا تقوى الله في سائر أحوالهم وأماكنهم ولا يجعلوا تقواه خاصة بمدة

(١) انظر: المفسر محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن محمّد الشاذلي، ويعرف بابن عاشور، ولد سنة (١٢٩٦ هـ)، نشأ وتعلم بتونس وتخرج بشهادة التطويع سنة ١٨٩٩. ودرس في جامع الزيتونة وفي المدرسة الصادقية، وفاته: سنة (١٣٩٣ هـ) رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، من دعاة الإصلاح الإجتماعي والديني، ومن مصنفاته: "التحرير والتنوير" في تفسير القرآن، وغيرها "الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة .٣: ٢٥٦٥، نويهض "معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر". ٢: ٥٤١.

(٢) انظر: ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ١: ٥٢.

الحج كما كانت تفعله الجاهلية فإذا انقضى الحج رجعوا يتقاتلون ويغيرون ويفسدون، وكما يفعله كثير من عصاة المسلمين عند انقضاء رمضان [١].

واختير لفظ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ هنا دون تصيرون أو ترجعون، لأن تحشرون أجمع لأنه يدل على المصير وعلى الرجوع مع الدلالة على أنهم يصيرون مجتمعين كلهم كما كانوا مجتمعين حين استحضار حالهم في هذا الخطاب وهو اجتماع الحج، ولأن الناس بعد الحج يحشرون إلى مواطنهم فذكرهم بالحشر العظيم، فلفظ تحشرون أنسب بالمقام من وجوه كثير، والعرب كانوا يتفرقون رابع أيام منى فيرجعون إلى مكة لزيارة البيت لطواف الوداع ثم ينصرفون فيرجع كل فريق إلى موطنه [٢].

قال الْحَرَالِّي[٣]: وكلية الحج ومناسكه مطابق في الاعتبار لأمر يوم الحشر ومواقفه، من خروج الحاج من موطنه متزودا، كخروج الميت من الدنيا متزودا بزاد العمل، ووصوله إلى الميقات، وإهلاله متجردا، كانبعاثه من القبر متعريا – وتلبيته في حجه كتلبيته في حشره، كذلك اعتباره موطنا إلى غاية الإفاضة والحلول بحرم الله في الآخرة التي هي الجنة، والشرب من ماء زمزم التي هي آية

(١) انظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٢: ٢٦٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢: ٢٦٤.

(٣) انظر: علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الإمام أبوالحسن الحرالي، قال الذهبي: وله تفسير به عجائب، ولم أتحقق بعد ما كان منطويا عليه من العقد، غير أنه تكلم في علم الحروف والأعداد، وزعم أنه استخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج " طبقات المفسرين للسيوطي". ٧٦، ولا يعلم وقت خروج الدجال ونحوه من أشراط الساعة إلا الله –تعالى– قال الله عزوجل ﴿ كج كح كخ كل كم لج لح ﴾ الجن: ٢٦.

طبقات المفسرين للسيوطي". ٧٦.

نزول الله لأهل الجنة على وجوه عن الاعتبارات، يطالعها أهل الفهم واليقين، فلأجل ذلك كان أتم ختم لأحكام الحج ذكر الحشر – انتهى[1].

وتكمن الخلاصة بأنّ: اختيار لفظة ﴿تُحۡشَرُونَ﴾ مطابق في الاعتبار لأمر يوم الحشر وموافقه، ولأنّ النّاس بعد الحج يحشرون إلى مواطنهم فذكرهم بالحشر العظيم.

الفرع الثاني: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ...﴾ الروم: ٦-٧.

الإطناب[2] من أهم القضايا البلاغية، حيث تلقف أرباب البلاغة هذه القضية، وهم بصدد إثبات الإعجاز القرآني، وتصدّيهم للطاعنين في القرآن لما فيه –كما يدعون– من تكرار وإطالة أو إسهاب، فتناول علماء الإعجاز القرآني هذا الأمر، وحاولوا جاهدين أن يضعوا لنظم الكلام معايير وموازين، فجعلوا الكلام في ثلاثة منازل: منزل وسط يتساوى فيه اللفظ والمعنى سموه : المساواة . ولهذا المنزل الوسط طرفان: طرف تقل فيه الألفاظ، وتكثر المعاني، سموه الإيجاز، ويقابله طرف تكثر ألفاظه، وتقل معانيه سموه الإطناب. ودأب البلاغيون من بعد على تناول هذا الموضوع، والخوض طويلًا فيه[3].

من الأساليب التي ذكرها القرآن الكريم التي أشار إليه الطاهر ابن عاشور في تفسيره وهو ذكر الإطناب وأحد نوعيه، بيان ما يرد في الجمل المتعددة، ويرد على صور مختلفة، منها ما كان راجع إلى أن يذكر الشيء على جهة النفي، ثم يذكر على جهة الإثبات، ولابدّ أن يكون في أحدهما زيادة فائدة ليست في الآخر يؤكد ذلك المعنى المقصود، وإلّا كان تكريرا، ولم يكن من باب الإطناب، ومثاله

(١) انظر: الحرالي، "تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي" ٣٧٤.
(٢) تعريف الإطناب: أداء المقصود بعبارة أكثر من العبارة التى هى متعارف الأوساط، (حفظي حافظ اشتية، " حاشية الدسوقي على مختصر المعاني " ٢: ٦٣٢).
(٣) انظر: حفظي حافظ اشتية، "الإطناب البلاغي ودور المعايير النحوية في رسم حدوده وتفريعاته" ١٧٩.

قولـــه تعـــالى: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ الآية، بدئت السورة بالتنبؤ عن حدث غيبي هام، أخبر عنه القرآن قبل حدوثه، ألا وهو انتصار الروم على الفرس ... [١].

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: فالمراد بـ ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ ابتداء المشركين لأنهم سمعوا الوعد وراهنوا على عدم وقوعه. ويشمل المراد أيضا كل من كان يعد انتصار الروم على الفرس في مثل هذه المدة مستحيلا، من رجال الدولة ورجال الحرب من الفرس الذين كانوا مزدهرين بانتصارهم، ومن أهل الأمم الأخرى، ومن الروم أنفسهم، فلذلك عَبَّر عن هذه الجمهرة بأكثر الناس بصيغة التفضيل. والتعريف في الناس للاستغراق. ومفعول يعلمون محذوف دل عليه قولـه ﴿ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾، فالتقدير: لا يعلمون هذا الغلب القريب العجيب. ويجوز أن يكون المراد تنزيل الفعل منزلة اللازم بأن نزلوا منزلة من لا علم عندهم أصلا لأنهم لما لم يصلوا إلى إدراك الأمور الدقيقة وفهم الدلائل القياسية كان ما عندهم من بعض العلم شبيها بالعدم إذ لم يبلغوا به الكمال الذي بلغه الراسخون أهل النظر، فيكون في ذلك مبالغة في تجهيلهم وهو مما يقتضيه المقام [٢].

وخلاصة القول: فإنه نفى عنهم العلم بما خفى عنهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا، فكأنه قال: علموا، وما علموا، لأن العلم بظاهر الأمور ليس علما على الحقيقة، وإنما العلم هو ما كان علما بطريق الآخرة ومؤديا إلى الجنة، فلولا اختصاص قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لكان تكريرا لا فائدة تحته، فلأجل ما ذكرناه عد من الإطناب لاشتماله على ما ذكرناه من الفائدة التى لخصناها [٣].

(١) انظر: السامرائي، "نظرات في سور القرآن" ٣٤.
(٢) انظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير" ٢١: ٤٨.
(٣) انظر: المؤيد باللَّه، " الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " ٢: ١٢٧.

الفرع الثالث: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ... ﴾

من الأساليب التي ذكرها القرآن الكريم التي أشار إليه الطاهر ابن عاشور: حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة ويذكر في بعضها ما لم يذكر في بعضها الآخر؛ وذلك تجنبا للتطويل ومناسبة للحالة المقصودة من سامعيها، فتارة تساق للمؤمنين، وتارة تساق للكافرين ، وبذلك يتفاوت الأسلوب بين الإطناب والإيجاز على حسب المقام، فقصة موسى عليه السلام التي بسطت في سورة طه والشعراء أوجزت في سورة الفرقان في آيتين هما: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٥ – ٣٦ [1]، وذلك لما جرى الوعيد والتسلية بذكر حال المكذبين للرسول ﷺ عطف على ذلك تمثيلهم بالأمم المكذبين رسلهم، وابتدئ بذكر موسى وقومه لأنه أقرب زمنا من الذين ذكروا بعده ولأن بقايا شرعه وأمته لم تزل معروفة عند العرب [2].

معنى قوله تعالى ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾: أي عوينا وعضدا في تفسير قتادة، وتفسير الحسن: شريكا في الرسالة [3].

وقال أيضا: و﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ وصف للقوم وليس هو من المقول لموسى وهارون لأن التكذيب حينئذ لما يقع منهم، ولكنه وصف لإفادة قراء القرآن أن موسى وهارون بلغا الرسالة وأظهر الله منهما الآيات فكذب بها قوم فرعون فاستحقوا التدمير تعريضا بالمشركين في تكذيبهم محمدا ﷺ، وتمهيدا للتفريع بـ ﴿ فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ الذي هو المقصود من الموعظة والتسلية والموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ للإيماء إلى علة الخبر عنهم بالتدمير [4].

(١) انظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ١: ٦٩.
(٢) انظر: الموضع نفسه. ١٩: ٢٤.
(٣) انظر: القيرواني، تفسير يحيى بن سلام. ١: ٤٨١.
(٤) انظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير. ١٩: ٢٤.

المطلب الثاني: مقتضى الحال.

الفـرع الأول: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ... ﴾ **آل عمـران: ١٨٦**

تختلفُ صورُ الخبرِ في أساليب اللغةِ باختلافِ أحوالِ المخاطبِ، منها: أنْ يكونَ المخاطب منكراً للخبرِ الذي يراد إلقاؤهُ إليه، معتقداً خلافه، فيجب تأكيد الكلام له بمؤكّد أو مؤكِّدين أو أكثر، على حسب حاله من الإنكارِ، قوةً وضعفاً، وهذا واضح في الأسلوب القرآني، ولعل ذلك يتضح من خلال هذا الشاهد القرآني، وهي التي أشار إليه الطاهر ابن عاشور، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ... ﴾

بعد أن سَلَّى نبيه – ﷺ– والمؤمنين فيما سلف عن تكذيب قومه له بأن كثيرًا من الرسل قبلك، قد كذبوا كما كذبت، ولَاقُوا من أقوامهم من الشدائد مثلَ ما لاقيتَ بل أشد مما لاقيت.. وزاد في تسليتهم بهذه الآية[1]. فقال: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ... ﴾

حيث أكد الفعل بلام القسم وبنون التوكيد الشديدة لإفادة تحقيق الابتلاء، إذ نون التوكيد الشديدة أقوى في الدلالة على التوكيد من الخفيفة، فأصل ﴿ لَتُبْلَوُنَّ ﴾ لتبلوونن فلما توالى ثلاثة نونات ثقل في النطق فحذفت نون الرفع فالتقى ساكنان: واو الرفع ونون التوكيد الشديدة، فحذفت واو الرفع لأنها ليست أصلا في الكلمة فصار لتبلون، وكذلك القول في تصريف قوله تعالى: ولتسمعن وفي توكيده [2].

هذه الجملة مؤكَّدة كما هو معلوم بثلاثة مؤكدات: لام التوكيد، واللام، والقسم المقدر؛ لأن اللام هذه موطأة للقسم أي (والله لتبلون) [3].

(١) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. ٥: ٣١٢.
(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤/ ١٨٩).
(٣) انظر: العثيمين، تفسير القرآن الكريم: آل عمران (٢/ ٥١٦).

والخطاب في ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ ﴾: لرسول الله – ﷺ –، والمؤمنين، وما فيه من التوكيد لتحقيق وقوع البلاء، مبالغة في الحث على ما أريد منهم من التهيؤ له، والصبر عليه، لما فيه من الحكم(١).

الفـــرع الثـــاني: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ... ﴾ **الأعراف: ٦٤** .

من إعجاز نظم القرآن الكريم: التَّقديم والتَّأخير، فذلك من أساليب البلاغة الدالة على التمكن في الفصاحة والبيان، والقرآن هو أعلى مثل في ذلك، فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى، وقد يقدم الأدنى قبل الأعلى والعام قبل الخاص وهكذا. ولا شك أنَّ لذلك معاني عظيمة، ولطائف جليلة، وقد تتبعها العلماء فاستخرجوا بعضها، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى كما أشار إليه الطاهر ابن عاشور: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ... ﴾

لما قَصَّ الله سبحانه وتعالى عليه أحوال الرسل الذين كانوا قبله، وأحوال من بعثوا إليه على سبيل التسلية له صلى الله عليه وسلم، والتأسي بهم، فبدأ بنوح عليه السلام، وأول رسول بعث إلى من في الأرض، وأمته أدوم تكذيبا له وأقل استجابة (٢).

حيث وقع التكذيب من جميع قومه: من قادتهم، ودهمائهم، عدا بعض أهل بيته ومن آمن به عقب سماع قول نوح، والفاء في قوله: فأنجيناه للتعقيب، وهو تعقيب عرفي: لأن التكذيب حصل بعده الوحي إلى نوح بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، ولا يرجى زيادة مؤمن آخر، وأمره بأن يدخل الفلك ويحمل معه من آمن إلى آخر ما قصه الله في سورة هود، وقدم الإخبار بالإنجاء على الإخبار بالإغراق، مع أن مقتضى مقام العبرة تقديم الإخبار بإغراق المنكرين،

(١) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٧٢٠).

(٢) انظر: الهرري، "حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن". ٩: ٣٨١.

فقدم الإنجاء للاهتمام بإنجاء المؤمنين وتعجيلا لمسرة السامعين من المؤمنين بأن عادة الله إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسول والمؤمنين، فلذلك التقديم يفيد التعريض بالنذارة، وإلا فإن الإغراق وقع قبل الإنجاء، إذ لا يظهر تحقق إنجاء نوح ومن معه إلا بعد حصول العذاب لمن لم يؤمنوا به، فالمعقب به التكذيب ابتداء هو الإغراق، والإنجاء واقع بعده، وليتأتى هذا التقديم عطف فعل الإنجاء بالواو المفيدة لمطلق الجمع، دون الفاء [١].

الفرع الثالث: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ... ﴾ الفرقان: ٢٨.

من الأساليب التي ذكرها القرآن الكريم وأشار إليها الطاهر ابن عاشور: استعمال أدوات النداء في غير طَلَبِ الإجابَةِ لأمْرٍ ما، وخروجها عن معناها الأصلي لغرض التحسر، ومثاله قوله تعالى: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ... ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها، وانفراجها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء [٢].

معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ... ﴾: أي: أمية بن خلف، وقيل: الشيطان، والأول هو المعروف [٣].

ويا ليتني نداء للكلام الدال على التمني بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الذي يطلب حضوره لأن الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة، كأنه يقول: هذا مقامك فاحضري، وهذا النداء يزيد المتمني استبعادا للحصول، وكذلك قوله: يا ويلتى هو تحسر بطريق نداء الويل [٤].

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير. ٨-ب: ١٩٧.
(٢) انظر: الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير. ٢: ٦٣٠.
(٣) انظر: السمعاني ، تفسير القرآن. ٤: ١٧.
(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير. ٢١: ٤٨.

قال الميداني[1]: جاء هذا الاستعمال في القرآن تعبيراً عن حالة المتحسّرين، جرْياً على طريقة أهل اللّسان العربي في ذلك [2].

وبذلك فالقرآن الكريم بجميع أساليبه جاء مطابقاً لمرعاة المقام ومقتضى الحال الذي هو أساس البلاغة ودلالة على بلاغة المبدع.

(١) ولد العلاّمة عبد الرحمن حَبَنَّكَة المَيداني الدِّمشقي سنة ١٣٤٥هـ ، تميَّز نتاجُه العلميُّ بالغَزارة مع العُمق والشُّمول، وقد جمعَ في كتاباته بين القديم والحديث، وبين التخصُّص الشرعيِّ الدقيق والعلوم الدنيويَّة العصريَّة، توفي في عام ١٤٢٥هـ "أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها" مقدمة المراجع: بقلم أيمن بن أحمد ذو الغنى.

(٢) انظر: الميداني "البلاغة العربية". ١: ٢٤٧.

الخاتمة (نسأل الله حسنها)

وفي ختام هذا البحث أحمد الله عز وجل أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على ما يسر وأعان وقد توصلت في هذا البحث إلى عدد من النتائج ومن أهمها :

١. إن الدراسات العربية القديمة اهتمت اهتماما كبيرا بمراعاة المقام ومقتضى الحال، ودوره في تأدية المعنى، حيث نجده عند اللغويين والبلاغيين والمفسرين وعلماء الأصول الذين كان لهم كذلك دور في الاهتمام بمراعاة المقام ومقتضى الحال، وبيان دورهما في تحديد الأحكام الشرعية واستجلاء مقاصدها.
٢. يعد الأئمة الثلاثة (برهان الدين البقاعي وأبو السعود العمادي وابن عاشور) من أكبر المفسرين اهتماما بالمباحث البلاغية في مراعاة المقام ومقتضى الحال، وهم أكثر المفسرين عناية بهما.
٣. إن مصطلح مقتضى الحال ظهر عند المفسرين عند تعليقاتهم على الآيات الكريمة إما بشكل واضح أو بإيماء إليه.
٤. معرفة مراعاة المقام ومقتضى الحال في الأسلوب القرآني من أهم أركان التفسير للوصول إلى خبايا مدلولات الآيات.
٥. لا يمكننا إدراك المعاني الحقيقية للكلام من خلال الألفاظ والتراكيب وحدها، بل هناك أداءات وقرائن خارجية (سواء أكانت صوتية أم غير صوتية بما تضفيه من ظلال أو دلالات تسهم في التوصل للمعاني والدلالات الحقيقية للكلام) [١].
٦. قد يتوهم السامع أن الحال شيء متعلق بورود الكلام على خصوصية معينة في زمن معين. وأن المقام هو المكان الذي قيل فيه، ولكن الحقيقة غير ذلك إذ إن الحال والمقام شيء واحد، والاختلاف يكون في الاستعمال، فالمقام يستعمل مضافًا للمقتضيات فيقال: مقام التأكيد مثلاً والحال يستعمل كثيرا مضافًا للمقتضى فيقال حال الإنكار فالإضافة بيانية [٢].

(١) انظر: الفتلاوي، "سياق المقام في القرآن الكريم (قصة ملكة سبأ) أنموذجا". ٧٥.
(٢) انظر: رزق، "مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم". ٤.

قائمة المصادر والمراجع

١. اختيار ما يقتضيه المقام من طرق التصوير: التشبيه أنموذجاً، ستنا محمد علي حمد ، مجلة العلوم الإنسانية. م١٦، ع٥ (٢٠١٥).
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣. أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، أحمد مطلوب الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت، الأولى، ١٩٨٠ م.
٤. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين الحنفي، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٥. الإمام العلامة برهان الدين البقاعي ومنهجه في التفسير، أكرم عبد الوهاب الموصلي، دار الفتح للدراسات والنشر، ط/١، ٢٠١٤م-١٤٣٥هـ.
٦. الالتفات في القراءات القرآنية أثره على المعنى – دراسة تحليلية، غزالة أبو حميد، رسالة الماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠١٥.
٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة – بيروت.
٨. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني،تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٤ ، الطبعة الأولى.
٩. البلاغة ٢ – المعاني، مناهج جامعة المدينة العالمية، المرحلة: بكالوريوس، كود المادة: LARB٤١٠٣، جامعة المدينة العالمية.
١٠. البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن بن إسماعيل الجناجيُ، (المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر، ٢٠٠٦م).
١١. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، (ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٦ م).
١٢. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط/١، ١٤١٦ هـ.

١٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
١٤. تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير، مستخرجة من: تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الحَرَالِّيُّ، ، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط، ط/١، ١٤١٨هـ.
١٥. تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
١٦. تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زَمَنِين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٧. تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/١. ١٤٢٠ هـ.
١٨. تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران، العثيمين، محمد بن صالح، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط/٣، ١٤٣٥ هـ.
١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، ط/١، ١٤١١ هـ.
٢٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط/١، ١٣٩٣- هـ ١٤١٤ هـ.
٢١. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الهرري: ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط/١، ١٤٢١ هـ .

٢٢. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط/ ١ – ١٤٢٣ هـ.
٢٣. التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي. "" مكتبة وهبة، القاهرة.
٢٤. جماليات مقتضي الحال ومواضع الخروج عنها في القرآن الكريم: التقديم والتأخير أنموذجاً، نيا، أمير حسين رسول، راد، وحيد كريمى، أيوكى، على نجفى، (مج١٠، ع٣٧، ٢٠١٨).
٢٥. الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، (ط١، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٧م).
٢٦. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني]، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
٢٧. دلالة المقام في فهم النصوص الشعرية، محجوب محمد آدم، (جامعة الزعيم الأزهري، المجلة العلمية، ٢٠١٠م).
٢٨. السيرة الذاتية، حسن إسماعيل عبدالرازق، موقع الألوكة. مسترجع من الرابط: https://www.alukah.net/authors/view/home/5470/.
٢٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط/١، ١٤٠٦ هـ.
٣٠. شيخ الإسلام أبو السعود أفندي (٨٩٨ – ٩٨٢هـ / ١٤٩٣ – ١٥٧٤م)، عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات – العدد الثاني والعشرون – شباط ٢٠١١.
٣١. الصناعتين: الكتابة والشعر، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت (١٤١٩هـ)..
٣٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٣٣. الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، رسالة ماجستير في البلاغة العربية، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب – قسم اللغة العربية، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
٣٤. طبقات المفسرين العشرين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط/١، ١٣٩٦هـ.
٣٥. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير – الاستِشراق – الاستعمار" دراسة وتحليل وتوجيه، (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم – دمشق، ط/٨، ١٤٢٠ هـ.
٣٦. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط/١، ٢٠٠٣م.
٣٧. علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
٣٨. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي أحمد عامر، المجلس العلمي للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٥هـ –١٩٧٥م
٣٩. في البلاغة العربية، علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م–١٤٣٠هـ.
٤٠. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/١، ١٤١٨ هـ.
٤١. مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط/٧، ١٤٠٢ هـ.
٤٢. مراعاة المقام في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، ط/٢، ١٤٤٠هـ.
٤٣. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م).
٤٤. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر،عادل، نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة

نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط/٣، ١٤٠٩ هـ.
٤٥. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤٦. مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم، سميرة عدلي محمد رزق، مجلة جامعة أم القرى، العدد:٩.
٤٧. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي ، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ط/١، ١٤٢٤ هـ.
٤٨. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، المحقق: تحقيق: د. علي دحروج، (ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م).
٤٩. نظرات في سور القرآن، فايز السريح، ١٤٣٩هـ.
٥٠. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، ط:١، ١٤٠٣ هـ.
٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ferences:

52. 1. aikhtiar ma yaqtadih almuqam min turuq altaswiri: altashbih anmwdhjaan, stuna muhamad eali hamd , majalat aleulum al'iinsaniati. mi16, ea5 (2015).
53. 2. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkutaab alkarim, 'abu alsueud muhamad bin muhamad bin mustafaa aleimadiu, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
54. 3. 'asalib balaghiati, alfasahat - albalaghat - almaeani, 'ahmad matlub alrafaeii, wikalat almatbueat - alkuayt, al'uwlaa, 1980 m.
55. 4. al'atwal sharh talkhis miftah aleulumi, eisam aldiyn alhanafii, haqaqah waealaq ealayhi: eabd alhamid hindawi dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan.
56. 5. al'iimam alealaamat burhan aldiyn albiqaeii wamanhajuh fi altafsiri, 'akram eabd alwahaab almusili, dar alfath lildirasat walnashri, ta/1, 2014mi-1435h.
57. 6. alailtifat fi alqira'at alquraniat 'atharah ealaa almaenaa - dirasat tahliliata, ghazalat 'abu hamid, risalat almajistir, aljamieat al'urduniyata, 2015.
58. 7. albadr altaalie bimahasin min baed alqarn alsaabiei, muhamad bin ealiin alshuwkanii , dar almaerifat - bayrut.
59. 8. alburhan alkashif ean 'iiejaz alqurani, kamal aldiyn eabd alwahid bin eabd alkraym alzamalkani,thqiq

'ahmad matlub wakhadijat alhadithi, baghdad, matbaeat aleani, 1964 , altabeat al'uwlaa.

60. 9. albalaghat 2 – almaeani, manahij jamieat almadinat alealamiati, almarhalati: bikaluryusi, kud almadati: LARB4103, jamieat almadinat alealamiati.

61. 10. albalaghat alsaafiat fi almaeani walbayan walbadiei, hasan bin 'iismaeil aljnajyu, (almaktabat al'azhariat lilturath alqahirat – masr, 2006ma).

62. 11. albalaghat alearabiatu, eabd alrahman bin hasan habannakat almaydani, (ta1, dar alqalami, dimashqa, aldaar alshaamiati, bayrut, 1996 mi).

63. 12. albalaghat alearabiatu, eabd alrahman bin hasan habannakat almaydani, dar alqalami, dimashqa, aldaar alshaamiatu, bayrut, ta/1, 1416 hi.

64. 13. altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid, muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir aibn eashur, aldaar altuwnusiat lilnashr – tunis, 1984 hi.

65. 14. turath 'abi alhasan alharalli almarakishiu fi altafsiri, mustakhrajat min: tafsir albiqaei <<nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr>> 'abu alhasan eali bn 'ahmad bn hasan alttujibi alharalliu, , taqdim watahqiqu: mahmadi bin eabd alsalam alkhayaati, manshurat almarkaz aljamieii lilbahth aleilmii – alribati, ta/1, 1418 h.

66. 15. tafsir alqurani, 'abu almuzafar alsameani, tahqiqu: yasir bin 'iibrahim waghanim bin eabaas bin ghunimi, dar alwatanu, alriyad – alsaeudiatu, altabeatu: al'uwlaa, 1418hi- 1997m
67. 16. tafsir alquran aleaziza, abn 'abi zamanin, tahqiqu: 'abu eabd allah husayn bin eukashat – muhamad bin mustafaa alkanz, alfaruq alhadithat – masir/ alqahirati, ta/ 1, 1423h – 2002m.
68. 17. tafsir alquran aleazim , 'iismaeil bin eumar abn kathir alqurashii albasariu thuma aldimashqi, tahqiqu: sami bin muhamad alsalamati, dar tayibat lilnashr waltawziei, ta/1. 1420 hi.
69. 18. tafsir alquran alkarim <<surat al eimran, aleuthaymin, muhamad bin salihin, dar abn aljawzii lilnashr waltawzie, almamlakat alearabiat alsueudiati, ta/3, 1435 hu.
70. 19. altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmanhaji, wahbat alzuhaylii, dar alfikr (dimashq – suriata), dar alfikr almueasir (bayrut – lubnan), ta/1, 1411 hu.
71. 20. altafsir alwasit lilquran alkarimi, majmueat min aleulama' bi'iishraf majamae albuhuth al'iislamiat bial'azhar, alhayyat aleamat lishuyuwn almatabie al'amiriati, ta/1, 1393- ha 1414 hu.
72. 21. tafsir hadayiq alruwh walrayhan fi rawabi eulum alqurani, limuhamad al'amin bin eabd allah alharri: , 'iishraf wamurajaeatu: alduktur hashim muhamad eali

bin husayn mahdi, dar tawq alnajaati, bayrut – lubnan, ta/1, 1421 hu .

73. 22. tafsir muqatil bin sulayman, 'abu alhasan muqatil bin sulayman bin bashir al'azdii albalkhaa, tahqiqu: eabd allah mahmud shahaatuhu, dar 'iihya' alturath – bayrut, ta/ 1 – 1423 hu.

74. 23. altafsir walmufasiruna, muhamad alsayid husayn aldhahbi. "" maktabat wahbata, alqahirati.

75. 24. jamaliaat muqtadi alhal wamawadie alkhuruj eanha fi alquran alkarim: altaqdim waltaakhir anmwdhjaan, naya, 'amyr hisyn rasul, rad, wahiyd krymy, 'aywky, ely najify, (mj10, ea37, 2018).

76. 25. aljumlat alearabiat walmaenaa, fadil salih alsaamaraayiy, (ta1, dar alfikri, eaman, 2007ma).

77. 26. hashiat aldasuqi ealaa mukhtasar almaeani lisaed aldiyn altiftazani (t 792 ha) [wmukhtasar alsaed hu sharh talkhis miftah aleulum lijalal aldiyn alqazwini], muhamad bin earfat aldasuqi, tahqiqu: eabd alhamid hindawi, almaktabat aleasriatu, bayrut.

78. 27. dalalat almaqam fi fahm alnusus alshieriati, mahjub muhamad admi, (jamieat alzaeim al'azhari, almajalat aleilmiati, 2010mi).

79. 28. alsiyrat aldhaatiatu, hasan 'iismaeil eabdalraazaqi, mawqie al'ulukata. mustarjie min alraabti: https://www.alukah.net/authors/view/home/5470/.

80. 29. shadharat aldhahab fi 'akhbar min dhahaba, eabd alhay bin 'ahmad bin muhamad aibn aleamadi, tahqiqu: mahmud al'arnawuwta, kharaj 'ahadithahu: eabd alqadir al'arnawuwta, dar aibn kathir, dimashq - bayrut, ta/1, 1406 h.
81. 30. shaykh al'iislam 'abu alsueud 'afandi (898 - 982h / 1493 - 1574mu), eisam muhamad eali eabd alhafiz eudwan, majalat jamieat alquds almaftuhat lil'abhath waldirasat - aleadad althaani waleishrun - shubat 2011.
82. 31. alsinaeatayni: alkitabat walshaera, alhasan bin eabd allah bin sahl aleaskari, tahqiqu: eali muhamad albijawi wamuhamad 'abu alfadl 'iibrahim, almaktabat aleunsuriat - bayrut (1419h).
83. 32. aldaw' allaamie li'ahl alqarn altaasie, shams aldiyn 'abu alkhayr muhamad bin eabd alrahman alsakhawi, manshurat dar maktabat alhayaat - bayrut.
84. 33. altaahir aibn eashur wajuhuduh albalaghiat fi daw' tafsirih altahrir waltanwir "almaeani walbadiea", ranit jihad 'iismaeil alshuwbki, risalat majistir fi albalaghat alearabiati, aljamieat al'iislamiat - ghazati, kuliyat aladab - qism allughat alearabiati, 1430 hi - 2009m.
85. 34. tabaqat almufasirin aleishrina, jalal aldiyn eabd alrahman bin 'abi bakr alsuyuti, tahqiqu: eali muhamad eumr, maktabat wahbat - alqahiratu, ta/1, 1396h.

86. 35. 'ajnihat almakr althalathat wakhawafiaha : altabshir - alastishraq - aliastiemar" dirasat watahlil watawjihu, (wdirasat manhajiat shamilat lilghazw alfikri), eabd alrahman bn hasan habannakat almaydani, dar alqalam - dimashqa, ta/8, 1420 hi.

87. 36. eulum albalagha (albadie walbayan walmaeani), muhamad 'ahmad qasima, muhyi aldiyn dib, almuasasat alhadithat lilkitabi, lubnan, ta/1, 2003m.

88. 37. eilam albadiei, eabd aleaziz eatiqu, dar alnahdat alearabiat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan.

89. 38. fikrat alnuzum bayn wujuh al'iiejaz fi alquran alkarim, fathi 'ahmad eamir, almajlis aleilmia lilshuwuwn al'iislamiati, alqahirati, 1395h -1975m

90. 39. fi albalaghat alearabiati, eilm almaeani, eabd aleaziz eatiqu, dar alnahdat alearabiati, bayrut - lubnan, 2009m-1430h.

91. 40. alkawakib alsaayirat bi'aeyan almiat aleashirati, najm aldiyn muhamad bin muhamad alghazi, tahqiqu: khalil almansur, dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, ta/1, 1418 hu.

92. 41. mukhtasar tafsir abn kathir, muhamad eali alsaabuni, dar alquran alkarim, bayrut - lubnan, ta/7, 1402 hu.

93. 42. muraeat almaqam fi altaebir alqurani, fadil salih alsaamaraayiy, dar abn kathiri, ta/2, 1440h.

94. 43. muejam almustalahat albalaghiat watatawuriha, 'ahmad matlubi, (matbaeat almajmae aleilmii aleiraqia, 1983ma).
95. 44. muejam almufasirin <<man sadar al'iislam wahataa aleasr alhadiri,eadila, nuayhdu, qadim lah: mufty aljumhuriat allubnaniat alshshaykh hasan khalid, muasasat nuayhad althaqafiat liltaalif waltarjamat walnashri, bayrut – lubnan, ta/3, 1409 hu.
96. 45. muejam almualifina, eumar rida kahalati, maktabat almuthanaa – bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii bayrut.
97. 46. muqtadaa alhal mafhumuh wazawayah fi daw' 'uslub alquran alkarimi, samirat eadli muhamad razqa, majalat jamieat 'um alquraa, aledadi:9.
98. 47. almawsueat almuyasarat fi tarajim 'ayimat altafsir wal'iiqra' walnahw wallugha <<min alqarn al'awal 'iilaa almueasirin mae dirasat lieaqayidihim washay' min tarayifihim>>, walid bin 'ahmad alhusayn alzibayri, 'iiad bin eabd allatif alqaysi, mustafaa bin qahtan alhabib, bashir bin jawad alqaysi, eimad bin muhamad albaghdadi , majalat alhikmati, manshistar – biritania, ta/1, 1424 h.
99. 48. mawsueat kashaaf astilahat alfunun waleulumu, muhamad bin ealiin altahanwii, almuhaqiqi: tahqiqu: da. eali dahruja, (ta1, maktabat lubnan nashiruna, bayrut, 1996m).
100. 49. nazarat fi sur alquran, fayiz alsirihi, 1439hi.

101. 50. alnuzum albalaghiu bayn alnazariat waltatbiqi, hasan bin 'iismaeil bin hasan bin eabd alraaziq aljnajyu, dar altibaeat almuhamadiat alqahirat – masr, ta:1, 1403 hi.

102. 51. nazam aldarar fi tanasub alayat walsuwr, 'iibrahim bin eumar bin hasan alribat albaqaeii, dar alkitaab al'iislamii, alqahirati.